الجريمة في علم النفس الاجتماعي

تمهيد

نحن نحس ونفكر ونعمل — فاذا ما سئلنا عن كيفية ذلك ، اجبنا على الفور اننا مخيرون احرار في كل اقوالنا واعمالنا ، وشتان ما بين ذلك و بين الواقع ، و بعداً ما بينهُ و بين الحقيقة . ذلك باننا مسيرون بقوى مختلفة ، خاضعون لانواع كثيرة من المؤثرات والفواعل ، فاذا عنّ لنا ان نحس او نفكر او نعمل — فانما يكون ذلك تحت تأثير خاص و بنظم خاصة — وانما علة ذلك الاجتماع

آية ذلك اننا نحس بوجوب تغيير معيشتنا ، وتحوير طرائق تفكيرنا ، واتباع سنن معينة ، والايمان بقوانين اجتماعية جديدة ، اذا هاجرنا من بلد الى بلد آخر ، وما الباعث على ذلك الاّ الحياة الاجتماعية . هنالك نحس ونفكر ونعمل باشكال وعوامل هي كلها فوق قدرتنا وغير ما نحبهُ بفطرتنا الاولى

على ان الهيمنة أو السلطان سيكون للمجموع الذي يهيئ و يرسم القوانين والنظم التي تجبرنا على اتباعها والايمان بها جميعاً . على حين ان هذا كلهُ يتغير بتغير المجموع ، ويختلف حتى في المجموع الواحد — باختلاف الاحوال والازمان

فانا في المجموع غيري اذا تركت وفطرتي وحسي وتفكيري وعملي — وتقديري للامور ونظري الى الاشياء يختلف اختلافاً بيناً في الحالين — حال الوحدة وحال الاجتماع ، لاني وانا مع المجموع اتأثر بتيار قوي يدفعني الى اتباع نظم خاصة توافق الشعور مع الكلية الجامعة لكل هذه الآحاد ، المؤلفة بين حسي والحس المكوّن منهُ الحس المشترك . من أجل ذلك — قالوا : ان الاجماع لا يكون غالباً على حق ، ومن اجل ذلك كان حكم الفرد مستقلاً — اقرب الى محجة الصواب منهُ مع الجماعة

من مثل هذه التأملات نشأ علم الاجتماع — وهو علم حديث العهد بين العلوم ، واحدث منهُ علم النفس الاجتماعي . اما الاول فعبارة عن فلسفة التاريخ في ثوب علمي جديد حاكهُ لهُ العلامة الفرنسي الشهير « اوغست كونت » واما الثاني فنتيجة طبيعية لازمة لرقي علمي النفس الشخصي — والاجتماع

الجريمة واسبابها

على حين ان علم الاجتماع الجنائي يختص و يعنى بدراسة النظم الاجتماعية ، وما يفاجئ

هذه النظم وبطرأ عليها من التغييرات — عن طريق الاحصاءات ، ثم هو من بعد كل ذلك يعود فيقابل بين هذه وبين غيرها في بيئات وبلاد اخرى ، هنالك يتعرف عللها واسبابها ، ثم يولي وجهه شطر الجريمة — وهي ظاهرة اجتماعية عامة — فيعنى بدراستها دراسة عناية وتحقيق ، ويتعرف اسباب وقوعها ، والمؤثرات المكونة لها واشكالها وتاريخها ويقابل بين جرائم وجرائم ثم هو من بعد ان يتعرف الداء يصف الدواء الناجع والعلاج الشافي ، وصف خبرة وحنكة وتجربة . اما اسباب الجريمة فقد وفقوا الى تقسيمها الى :

(١) عوامل طبيعية (٢) عوامل شخصية (٣) عوامل اجتماعية

(١) اما العوامل الطبيعية ، فقد عرفوها بانها تلك التي لها من الاثر ما لا قبل لمخلوق على اجتياحه وان استطاع وكان في مكنته ان يخفف و يلطف من حدوثه . وضربوا لذلك مثلاً فقالوا ان ثمن القمح والخبز في بلاد مجدبة ارضها — اذا صلح حال المواصلات وسرعة النقل والتجارة بينها و بين غيرها من بلد خصب — فانما يتبع ذلك تغيير ظاهر بيّن في محصول ونتاج الارض المجدبة هذه

(٢) واما العوامل الشخصية ، فمنها الوراثة وعلاقتها بالامراض والاجرام . ومنها سن الوالدين — ومنها الذكورة والانوثة ، والعبارة الخ

(٣) واما العوامل الاجتماعية فمنها عدد السكان واحصاء المواليد والوفيات ، وسكنى المدن والارياف ، والهجرة من والى . . . والحالة الاقتصادية ، وتشمل اثمان الاكل والشرب ، واجور المال والازمات ، وعدد ساعات العمل ، والغنى والفقر ، والمسكرات والتعليم والاديان

ونحن نريد ان نتتبع الحركة الفكرية في جو اوربا العلمي وخصوصاً في ايطاليا بعد ان اشتهر لمبروزو بمذهبه العلمي الجديد في علم الاجتماع الجنائي ، على اننا لا ننسى ما كان لالمانيا من فضل سابق في تنظيم القوانين الجنائية — سيما في القرن التاسع عشر على أن ايطاليا وفرنسا لا تجحدان ذلك

نقول ذلك بحق سابقة الالمان لغيرهم من الامم الاخرى — في تدريس القانون الجنائي في جامعاتهم تدريساً مستقلاً قبل ان يتهيأ ذلك لايطاليا او فرنسا . ولم يدرس القانون الجنائي في كليات فرنسا درساً منظماً مستقلاً الاّ في النصف الاخير من القرن التاسع عشر

حسن حسين